

في الأدب العربي

نامق كمال

للدكتور عبد الوهاب عزام

أثر عظيم على « نامق كمال » واضرابه من الشبان ، فاعجب كمال
بـ « وشارك » في تحرير جريدته ودعا الى تجديد تركيا في السياسة
والادب وعظمت مكانته . فلما فر شناسي افندي الى باريس ١٢٨٠ هـ
(١٨٦٤ م) خلفه في تحرير الجريدة ، فانتشرت « تصوير أفكار »
انتشاراً عظيماً .

وقد ضاقت الحكومة العثمانية ذرعاً بمقالاته فأرادت أن
تشغله ببعض المناصب فجعل متصرفاً للقلعة السلطانية في غليولى
زمناً قصيراً وهو في سن ٢٣ . وبعد حين أريد إرساله سفيراً الى
بلاد الديجم فأمي . وانتهى الامر بينه وبين الحكومة الى أن فر
هو وجماعة من أنداده الى لدره سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٦ م) ويقال
انه ذهب اليها اجابة لدعوة مصطفى فاضل باشا ونشر في لندرة
جريدة « المنبر » ثم نشرها في باريس ونشر بعدها جريدة « الحرية »
وفي باريس درس الحقوق والاقتصاد السياسي وترجم بعض
الكتب من الفرنسية .

ولما مات الوزير على باشا سنة ١٢٨٧ هـ رجع كمال الى استانبول
فنشر جريدة « عبرت » فصارت أعظم الجرائد التركية . ولا يزال
أدباء الترك يحرصون على صفحات هذه الجريدة ومقالاتها ، وكتب
اذ ذاك قصة « وطن ياخود سلسيريا » فلم تحتل الحكومة جرائده
وصرامته ، ففقه الى قبرص فحبس بها وكتب هناك قصته الأخرى
« عاكف بك » .

ولما تولى السلطان مراد رجع الى استانبول بعد أن أقام في
منفاه ٣٨ شهراً ، وشارك مدحت باشا ورضا باشا في تحرير الدستور .
ولما تولى السلطان عبد الحميد لم يصبر على أفوال كمال وأقاله ،
فأخذ وحبس خمسة اشهر ونصف ، شغل أثناءها بقراءة التاريخ
ابتغاء أن يكتب تاريخاً للجيش العثماني . ولما برأته المحكمة بما اتهم
به نفاه السلطان الى جزيرة متلين وهناك كتب قصائد أعرب فيها
عن شكائه وحزنه ، وكتب قصتين « جلال الدين خوارزم شاه »
و « جزى » تناول فيهما بعض حقائق التاريخ الاسلامي . ثم جعل
متصرفاً للجزيرة التي هو بها ثم نقل الى رودس وكانت أكثر ملامه

أبو الأدب التركي الحديث الذي نزل من أفكار الترك
وقلوبهم منزلة لم ينزلها غيره . والذي لا تزال آثاره مدونة في التاريخ
التركي الحديث ، محفظة في قلوب الجيل الحاضر . ولد سنة ١٢٥٦ هـ
في أسرة مجيدة يجمع تاريخها كثيراً من كبار الدولة العثمانية
وكان أبوه مصطفى عاصم بك فلكيا ، وجده شمس الدين بك
رئيس المايين في عهد السلطان سليم الثالث ، وأبو شمس الدين
قعودان أحمد راتب باشا الذي انتهى نسبه الى الصدر الأعظم
طريال عثمان باشا .

وأبو الشاعر من يكي شهر وأمه من قونية في ألبانيا . وكان
أبوه ديناً متصوفاً ، فلما ولد المرلود العظيم أخذه الى أحد الدراويش
فدعا له أن « يكون كمالاً للإسلام » ، فلم يزل في دار أبيه ودرس فيها
درسها العربية والفارسية والفرنسية ، ولم يتلم في المدارس الا
تسعة أشهر .

وفي سن الثانية عشرة ذهب مع جده الى قارص وكان يمضي
أكثر أوقاته في الصين ، ثم ذهب الى صوفيا حيث شرع يقرض
الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره . ثم عاد الى استانبول
وهو ابن ١٧ فصار مترجماً في الباب العالي واتصل بجماعة من
الأدباء الذين يكبرون الشعراء القدماء ويسـيرون على نهجهم
فشارك في الشعر وعرف به ونشر ديواناً صغيراً تسمي فيه « نامقا »
كدأب شعراء الفرس والترك في اتخاذ اسم شعري يردده الشاعر
في منظوماته فيعرف به .

وكان شناسي افندي أحد أدباء الترك الذين تعلموا في فرنسا
يحتذى الشعراء الفرنسيين ويحرض ناشئة الأدباء على اتباع أسلوب
جديد في الأدب ، وكان لمقالاته في جريدته « تصوير أفكار »

وهذه قطعة منظومة ختم كل بيت منها بكلمة « على رغم » ،
فتمثل في هذا التكرار اصرار النفس الكبيرة وثباتها على الدهر القلب:
لست أبالي ان اعود تراباً على رغم عمري ، ولست أفر من
عنصري ، على رغم المهات .

لا تجمعان نفسك أذل من التراب الذي تطؤه ، اثبت على
عزيمتك على رغم الدهر الذي لا ثبات له .

ما تمثل لي الباطل حقاً قط ، ولقد اعتمدت على الحق ، على
رغم الآلهة كلها .

لا يخفني داهية آراه ، أعرض على الناس ما تعرف على
رغم الدهاة أجمعين .

إن كان لا بد للحياة على ظهر الارض من تمرير الوجه بالتراب
فاختر بطن التراب على رغم الحياة

رأيت مسير الكائنات شراً فاعتزلتها ، ووقفت في هذه السبيل
وحيداً على رغم الكائنات .

وما التفت قط الى الخطوط الفاتنة على رغم ملاح في طالعي
من آلاف الخطوط .

وهذه آيات من قصيدة حماسية طويلة .
رأيت ولاية العصر قد حادوا عن الاخلاص والصدق

فهجرت المناصب عزيزاً سعيداً . ان جرثومة هذا الجسم تراب
الوطن ، فاذا يفيد أن يمزقه الجور والحنة في سبيل الوطن ؟

لا يعين الظلمة الا الأوغاد كما ينعم الكلب في خدمة الصياد
السفاح .

من يخش لوم الناس ولا يستع من نفسه فنفسه أحقر الناس
عنده .

ان انتقام العقلاء من الدهر أن يعتبروا بحادثاته فيزدادوا جدا
وصرامة واقداما .

انتصار الامة في اتحاد قلوبها والرحمة في اختلاف آرائها
ان عزيمة الرجل المسكين تدير العالم ، والدنيا في اضطراب من

ثبات أولى العزم :
ليس على الأسد المسلسل عار ، ولكن العار على الفلك الذي

ينصب لحرب أولى الهمم .
نحن سلاة الكرام من بني عثمان اختمرت طينتنا بدم الشهادة

(البقية على صفحة ٣٠)

لصحته . وفي رودس شرع يكتب تاريخ الدولة العثمانية وقد جمع
بها مكتبة حافلة مكتبته من التأليف ، ثم جعل متصرفاً لمنهين فعاد
اليها وواصل كتابة تاريخه على رغم مرضه ، حتى منعت الحكومة
ان يطبع هذا التاريخ وأمرته ألا يستمر في كتابته . وبعد سنة
توفي سنة ١٣٠٥ هـ .

* * *

لا يتسع المجال هنا لتعداد مؤلفات نامق كمال ، ولكن يمكن
جمالها في الديوان وثمانى قصص ومؤلفات تاريخية ، منها « اوراق

پريشان » ، التي ترجم فيها لصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح وسليم
الأول ونوروز بك ، ومقدمة في تاريخ الرومان والتاريخ الاسلامي ،

ولكتاب ردّ فيه مزاعم رينان الفرنسي سماه : « رينان مدافعه
نامه سي » ، وهو من أحسن ما كتب في رد ما كتبه رينان عن

الاسلام . ومقالات عديدة هي من أروع آثاره .
ويتجلى في كتب كمال حماسته وغيرته واخلاصه في سبيل وطنه

والاسلام ، كما يتجلى الخلق العظيم ، والنفس الكبيرة ، والعزيمة
الماضية ، والصبر على المسكاره ، والخيال الرائع ، والتصوير الجميل ،

والاعراب الحرّة عن آرائه ومشاعره .
ولا ريب أن كالا هو خالق النثر التركي الحديث ، والذي مهد

للأدباء الطريقة المثلى في الشعر بعد أن هداه اليها شناسي افندى :
وهذه قطع من آثار نامق كمال وان آثاره لأعظم وأكثر من أن

تبين عنها هذه القطع الصغيرة : قال من مقال منشور عن الشعر والشعراء :
- ١ -

الشاعر مخلوق من البسمات الحزينة : بسمات الطبيعة في أشد
أوقاتها وجدا وولها .

ترى في ضحكه أرب البكاء كقطرات الندى على صفحة الورد ،
وتلوح في بكائه بسمات الابتسام كقوس قزح في السحاب المكفهر .

هو أشد الخلاق استئساراً للطبيعة ولكنه يحاول أن يسمو فوقها ،
بينما هو لا يحسن تدبير أمره ، ينبغي أن يدفع بذراعيه الضعيفتين كرة

الارض إلى مركز كمال جديد ومحور سعادة آخر ، فاذا عي بما يريد أرسل
أناته الحزينة كأنات البلائل في الاقفاص خلف الحجب السوداء ،

او صاح صياح النسور قد حلقت في اللوح حتى ضاق بها نفاسها
الهواء فاهوت مسرعة تملأ الهواء ، صرصرتها .

الشعر هذه الصيحات الأليمة ، والشعراء هؤلاء البؤساء الذين
فطروا على هذه الفطرة ، لا من يؤلف التفاعيل والأفاعيل من خمسة

عشر حرفاً أو يستطيع أن يؤلف القوافي من ثمان وعشرين كلمة . الخ